الانتفاضات في ايران:

خلفيتها وعوامل اندلاعها

انتفاضة : طريق الجماهير وردها

بقلم: مناضل ايراني

منذ عدة اشهر والمدن الايرانية في حالة غليان بدأت بالمظاهرات الصاخبة التي اجتاحت كافة ارجاء البلاد لتتحول الى صدامات مسلحة مع قوات نظام الشاه ، وسائر مؤسساته القمعية الاخرى بما فيها الجيش ، الذي اضطر الى الاستعانة به لمواجهة القطاعات الواسعة من الجماهير التي خرجت منددة بحكم الشاه ، وشاجبة للسياسة التي يسير عليها ورافعة شعارات تنادي باسقاطه .

لم يقتصر الامر على التحرك العفوي لدى الجماهير ، ولم ينحصر في اطار المنظمات والتيارات الماركسية التي اندفعت للانخراط في الحركة الجماهيرية ، بل وصلت الى درجة اسهام القوى الدينية ، وقيادة الزعامات الدينية للعديد من المسيرات ، وخاصة في المدن المقدسة .

ويصعب تشخيص هذا الزخم الجماهيري ، وتحديد حيزه في خارطة الصراعات الدائرة فوق الساحة الايرانية ، دون رؤية ذلك الترابط بين مرحلة التطور التي يمر بها النظام الايراني مع الاوضاع الراهنة للامبريالية العالمية ، وخاصة الامريكية منها ، لان ذلك سيجعلنا قادرين على تمييز علمي دقيق لدرجة تطور النظام الرأسمالي الايراني وخصائصه وبالتالي افرازاته الاجتماعية التي تجسد نفسها في الصراعات السياسية وتنعكس عليها .

فالرأسمالية العالمية وهي تعيش مرحلة الرأسمال الاحتكاري ، لا تزال تفتقر - وهذا من صلب طبيعتها - الى الانسجام والنمو المتوازن بين الاطراف المختلفة داخل نظامها ، فهناك تفاوت في مستوى التطور ، ووتائر النمو ، ومعدلات زيادة الانتاج ، ناهيك عن وتائر تراكم رأس المال وطبيعة حركته ومجالات استثماره . وهذا بدوره يؤدي - وباستمرار - الى تمزيق اوصال النظام الرأسمالي بما في ذلك الاطراف المتقدمة فيه ، ويحول دون تماسكه ، ويقود الى تسعير الصراعات في اجنحته المتنافسة .

ويزداد هذا التفاوت حين تجري المقارنة بين الدول المتقدمة والاخرى التي لا تزال في اول درجات السلم ، فعلى الرغم من ان الازمة المستوطنة في النظام الرأسمالي قد اعطت الاخيرة مزيدا من الاستقلالية ، الا ان هذا الهامش « الاستقلالي » لا يزال اضيق من الاعتماد عليه للوصول الى مواجهة متكافئة - على الاقل في المستقبل القريب - بين الدول الواقعة تحت نفوذ الاستعمار الحديث وتلك المستعمرة (بكسر الميم) .

وينعكس هذا الواقع في التفاوت الملحوظ في القدرات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، والصراعات المحتدمة على كل جبهة منها ، والتي هي في نهاية المطاف الاساس المادي لمظهر آخر من التناقض القائم بين العمل والرأسمال ، وهو في صورته التي اشرنا اليها لا يزال داخل دائرة النظام الرأسمالي ، بما فيه الدول النامية ، او تلك التي تنتمي الى العالم الثالث .

هذا التفاوت يتيح لاقوى الاطراف - وهو في هذه الحالة الامبريالية الامريكية - محاولات الاستفراد، والاحتفاظ بمواقع السيادة والنفوذ ، ويفسح المجال لتنمية نزعات ازاحة المنافسين او تعزيز الهيمنة على الرغم من عمق الازمة التي يعاني منها هذا الطرف المتفوق نسبيا . وتأخذ صورة هذا الواقع طريقها الى دول العالم الثالث ، وتترك بصماتها على مجرى الحياة فيه ، وتؤثر على وتائر واشكال الصراع حتى على مجتمعاته التي تعيش انماط انتاج ما قبل الرأسمالية .

الصراع بين الاحتكارات الامريكية

يذهب البعض الى تقسيم الاحتكارات الصناعية الاساسية في المجتمع الامريكي الى ثلاثة اصناف هي :

١ - الاحتكارات النفطية
٢ - الاحتكارات الصناعية غير العسكرية
٣ - الاحتكارات الصناعية العسكرية

والاولى هي التي تحتكر انتاج النفط خارج الولايات المتحدة ، وتسيطر على قنوات استيراده الرئيسية وتتحكم فيها ، وهي الان تحاول التوسع والتشعب لتتمكن من السيطرة على صناعة مصادر الطاقة تحسبا لازمة نفطية قادمة ، وحرصا على استباق الاحداث . والثانية ، وهقل نشاطها الاساسي الصناعات التي ليست ذات علاقة مباشرة بالصناعة النفطية في اطار الاكتشاف والاستخراج ، وتنحصر معظم انشطتها في صناعة البضائع الاستهلاكية الحقيقية .

اما احتكارات الصناعة العسكرية ، وهي تنشط اساسا في مجال انتاج واستعمال البضائع الحربية، ولذلك فهي تشمل جميع المؤسسات العسكرية الامريكية والصناعات التي تفي احتياجات المؤسسة العسكرية الامريكية الحالية او المتوقعة . ويبدو ان قوة هذه الاحتكارات لا تنبع من اهمية المواد التي تصنعها فقط ، او قوتها الاقتصادية وموقعها في السلطة التشريعية فحسب ، وانما ايضا على ذلك النفوذ التي تتمتع به في اوساط الرأي العام الامريكي الذي تضلله الدعاية الواسعة لهذه الاحتكارات المرتكزة على مهمات « الدفاع عن الوطن » و « التصدي للخطر الشيوعي » و « نشر القيم والافكار الامريكية » ... الخ .

فحاليا هناك داخل الولايات المتحدة ما يقارب من عدة مئات من المنظمات المتفاوتة الحجوم ذات الفكر اليميني المتطرف مثل منظمات « العسكريين القدامى » و « الفتيات الامريكيات » ومجموعة « جان برج » التي تقوم بالدعاية لمجمع الاحتكارات الصناعية العسكرية . وتشير بعض الاحصاءات ان هناك حوالي (٨٣٠٠) مجلة ، و (١٧٠٠) جريدة ، و ٢٧٠٠ محطة اذاعة ، و (٥٥٠) محطة ارسال متلفز ، يضاف اليهم عدد لا بأس به من القادة النقابيين ، جميعهم يستلمون معلوماتهم من المركز الاعلامي للجيش .

ان هذا التصنيف القائم اساسا على حقول الانتاج لا يضع فواصل عازلة بين هذا الاحتكار او ذاك ، ولا يقيم اسيجة تحظر على احدها تجاوزها وبالتالي التداخل مع الاحتكار الاخر . فهناك العديد من الحالات التي نجد فيها مؤسسة واحدة ، واحيانا اخرى عائلة تتداخل انشطتها لتشمل الاصناف الثلاثة . ولعل ابرز مثال على ذلك هو روكفلر ، الذي تمتد اذرع اخطبوط احتكاراته الصناعية - ناهيك عن المالية - لتمارس النهب والاستغلال في المجالات الثلاثة .

ووسط تزاحم التنافس لا ينبغي ان نستغرب ، ونحن نعيش مرحلة الرأسمالية الاحتكارية وفي فترات تقيمها ان نرى نزوع بعض الاحتكارات للاتحاد بشكل الحاقي ، او على اسس متكافئة مع احتكارات اخرى ، وفي الولايات المتحدة يلمس ذلك بشكل ملحوظ بين الاحتكارات النفطية ، والمجمع الصناعي - العسكري من ناحية اخرى في وجه احتكارات الصناعة غير العسكرية .

هذا الصراع الدائم ، والنزوع نحو الاتحاد الجزئي غير الثابت ينعكس بشكل تلقائي واحيانا بشكل غير مباشر في ما نراه من صراعات سياسية داخل الولايات المتحدة ، او على النطاق العالمي ، لا توقفه مساعي البعض ، ولا دعوات البعض الاخر التي في بعض حالاتها جزء من لعبة الصراع والبناء على قوانينه ، وتتطور الصراعات في شكل حلزوني معقد لتصل الى قمة السلطة السياسية في الولايات المتحدة ، والتي هي رئيس البيت الابيض ، الذي يحاول ان يبدو محايدا ، ويتصرف على اساس مصلحة الولايات المتحدة القومية ، لكنه لا يستطيع ان يتجاوز كونه منتميا الى احدها ، وبالتالي دفاعه عنها . وقد نشأت عدة عوامل سياسية واقتصادية جعلت من الظواهر التقليدية بروز نوع من الائتلاف بين الاحتكارات النفطية والمجمع الصناعي العسكري ، في وجه الاحتكارات الصناعية غير العسكرية .

واحد العوامل التي اوصلت نيكسون الى السلطة ، وهو مرتبط بالاحتكارات النفطية ، وضمن استمرار سياسته ، والحؤول دون محاكمته . وتقليص حجم فضيحة ووترغيت وتأثيراتها على الحزب الجمهوري ، وهذا ما قام به فورد ذو العلاقة الحميمة بالمجمع الصناعي - العسكري ، والذي قاد جملة التراجعات - التي فرضتها الازمة المحتدمة في النظام الرأسمالي - التي اقدمت عليها الامبريالية سواء على الصعيد الداخلي او على النطاق العالمي .

□ ايران يمكن ان تتغير ...

● تحت عنوان يعبر عن تحذير ضمني « ايران يمكن ان تتغير » ، كتبت صحيفة « الهيرالد تريبيون » الاميركية افتتاحية حول احداث ايران ، ذكرت فيها الذين يمكن ان يكونوا قد نسوا ، بان هذا البلد لعب في التاريخ دورا مشابها لدور افغانستان وان حياته السياسية « كانت عاصفة ومتغيرة » .

وبعدما مرت افتتاحية الصحيفة مرورا سريعا بالمحطات الرئيسية لتاريخ ايران المعاصر ، لتبين اهميتها الاستراتيجية للشرق وللغرب ، وصلت الى التذكير بان الشاه محمد رضا بهلوي قد جاء الى العرش بفضل ما اسمته بالمساعدة الاميركية ، وانه بهذه المساعدة الاميركية ، تمتع الشاه بحكمه السلطوي .. ولكنها سلمت بانه له اعداءه ، الذين برغم تباعدهم الايديولوجي العميق ، توحدهم الرغبة باقتلاع الشاه عن عرشه .

قالت افتتاحية الصحيفة ان اعداء الشاه هم المتدينون المسلمون ، والشيوعيون وحتى الليبراليون الذين يريدون الخلاص من حكمه ، الى حياة ديمقراطية في ايران . ورغم ان الشاه قد كبت الانفجارات بالعنف ، لكنه واقع تحت ضغط ، حتى من هؤلاء الذين يريدون رفع اسعار النفط ... لتنتهي الى القول بان هناك دائما ، المشكلة التي يواجهها كل نظام حكم سلطوي ، عندما يصبح القائد بحاجة الى .. خلف ، ولتضيف بتحذير ضمني ولكن واضح : لذا فانه من الواضح جدا بانه لا يمكن اعتبار ايران امر مضمون - اذا ما حدثت تغييرات رئيسية .

اما فوز كارتر فقد كان ضربة لذلك الائتلاف ، ونجاح يحققه المجمع الصناعي غير العسكري ، وتفوقه على فورد باغلبية ضئيلة لا تزيد على ٤ بالمئة من اصوات الناخبين في الولايات المتحدة ، بالقدر الذي عكست فيه اشتداد وتيرة الصراع بين الائتلاف ، والمجمع غير العسكري غير الصناعي ، فانها كانت مؤشر قوي على ان الفضائح التي اطرشت اذان العالم (ووترغيت - السي - اي - آي - الاف - بي - اي) هي جميعها من صنع المجمع غير العسكري ، الذي اطلق على نفسه لقب « المدافع عن الحريات » لكي يهيء الارضية من اجل تحطيم الخصم ، والوصول الى سدة السلطة .

وتجدر الاشارة هنا الى ان دافيد روكفلر قد شرع منذ عام ١٩٧٣ في تأسيس لجنة عرفت بـ « اللجنة الثلاثية » وضعت على عاتقها توثيق العلاقات بين الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان . هذا العام هو ذاته الذي نشبت فيه حرب السيطرة على مصادر الطاقة بين الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان ، مما ادى الى ان يدعو كيسنجر الى تشكيل « الهيئة الدولية لمصادر الطاقة » . وكان كارتر ، وفانس ، وبريزنسكي - اعمدة البيت الابيض حاليا - اعضاء في تلك اللجنة . وبريزنسكي وهو مهندس السياسة الامريكية الراهنة ، كان مهندسها .

وابرز السمات الفارقة بين الائتلاف والمجمع هي انه على حين ينزع المجمع الصناعي - العسكري الى استخدام العنف في تنفيذ مخططاته ، نرى ان الائتلاف بين الاحتكارات النفطية والمجمع الصناعي غير العسكري يحبذ اللجوء الى المناورات، ويفضل تدبير المؤامرات بما فيها « الانقلابات البيضاء » ، ويميل الى اللعب فوق حبال موازين القوى وعلاقتها ببعضها البعض . ومع ذلك فهي لا تتردد اذا ما تهددت مصالحها في اللجوء الى العنف ، واستخدام ذات الاسلحة التي يعتمد عليها المجمع الصناعي العسكري ، وحينها تضع على الرف كل ادعاءاتها بشأن « حقوق الانسان » ، وتتجه انظارها نحو المصالح الاقتصادية فقط .

درجة تطور الرأسمالية الايرانية وعلاقتها بالامبريالية

بوصفه بلدا رأسماليا يرتبط النظام الايراني بالنظام الرأسمالي ، وبالتالي فهو يستورد الامراض آلتي تعصف به ، على انه من الضروري ملاحقة تلك الدرجة من التبعية - خاصة على الصعيد الاقتصادي - التي تعيشها ايران للامبريالية الامريكية . يضاعف من سوئها تلك الطبيعة الاستبدادية الفردية التي تكاد ان تصل الى المطلق التي تتمتع الاسرة الحاكمة وتتجسد في الشاه . الذي تنبع الدرجة العليا من ارتباطه بالامبريالية الامريكية كونها القوة التي اطاحت بحكومة مصدق الوطنية في منتصف الخمسينات ، ونصبته هو على قمة السلطة ، وما تبع ذلك من تسلل للخبراء الامريكان وعلى كافة الاصعدة داخل مؤسسات النظام الايراني .